كَيفَ وَجَدْتَ العِراق

سَعْد جرجيس سَعِيد

الكتاب: كيف وجدت العراق

المؤلف: سعد جرجيس سعيد

رقم الإيداع: ١٤٨٣٨ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: 978-977-493-701-9
الطبعة: الثانية / ٢٠٢٤

الناشر
شمس للنشر والإعلام
ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net
shams@shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نشر أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

كَيفَ وَجَدْتَ العِراق

مجموعة شعرية

سَعْد جرجيس سَعِيد

إهـداء

إلى... العِراقِ
الَّذي كُلَّما وَجَدْنَاه كانَ ارتحالاً في ألفِ ليلَةٍ من الحُبِّ...
والحَرْبِ... والانتظارِ... والدُّموعِ... والشَّجَنِ... والفَرَح
المُمْتَدِّ من أَصَائِلِ الرمَالِ القديمَةِ حتى ضُحَى دجلَةَ
الخَالد

المؤلف

كَيفَ وَجَدْتَ العراقَ

(١)

- كَيفَ وَجَدْتَ العراقَ

- وجدتُ العراقَ انتظارا

غدًا سوف يأتي من الحَرْب أحبابُنَا الغائبونْ

غدًا سوفَ يَمْضِي مَعَ الحَرْبِ...

مَنْ أوْدَعُوا في عُيُون الطُّفولةِ ملحَ الشُّجونْ

وبيني وبين الطريقِ إلى دارِها

دَمٌ دافِئٌ...

دفَّأتْهُ الحياةُ التي لا تُحِبُّ الرَّحِيَلا

سلامًا لأرضِكَ يا مَوْطني

- هي الأرضُ تَشْهدُ أنَّا قُتلنا هنا

- هي الأرضُ تشهد أنَّا قَتَلنا هنا

سلامًا

ويُبْعثُ فينا السلامُ

بفرحَةِ طِفْلٍ

بضحكة أمٍّ

برحلةِ عشقٍّ

بغُصْنٍ إلى الشاطئين يزفُّ الهديل

(٢)

تَقول اليشاميغُ:

- لا، لَنْ يكونَ العراقُ ذَلِيلا

- ألا لَنْ يكونَ العِراقُ ذَليلا

يمرُّونَ...

راياتُهم فوقَ سعْفِ النَّخيلْ

وأصواتُهم تستفزُّ الهديلْ

يمرُّونَ...

لا شَيءَ يا طِفلتي في قِيامَتِنا

تَجْفُلينَ مِن القَادمينْ

يَمُرُّونَ...

- لا، لنْ يكونَ العِراقُ ذَلِيلا

(٣)

وجدتُ العراقَ نَخِيلا

نخيلاً تُصَافِحُه نسمةٌ من غُروب الضفافِ

وجدتُ العراقَ نَخيلا

نخيلاً تُحاوِلُه النارُ،

نارُ السنينِ العجافِ

وتهرُبُ من ليلِها ضحكةٌ

ثُمَّ أُصْغِي

فَتسكُتُ ليلاً طَويلا

حديقةُ جارَتِنَا مسَّها مَغْربٌ

فالضياءُ حكايَةُ جارَتِنَا في المساءِ

طريقٌ لِجَارَتِنا مُظلمٌ

بيتُها سَاكتٌ

ليلُها سَاكتٌ

حُلمُها سَاكتٌ

لم تَزدْها الحِكايةُ إلا ذُهُولا

تريدُ الكلامَ

فيجْبرُها الليلُ ألا تَقُولا

(٤)

وكانَ العراقُ لهُ سعفَةٌ

بِكُلِّ عُيُون الغُزَاةِ تَفوتُ

ولكنَّها الريحُ مرتْ

.....

.....

فيا طِفْلَتي أقبلَ الليلُ

هذا العذابُ الذي لمْ تَقُلْهُ الحكاياتُ يومًا

ويا طفلتي فرَّقَتْنَا الحُرُوبُ

ويا طِفلتي هؤلاءِ الذين مَشَوا بَيْنَنَا

عليهم غبارٌ قديمٌ

فكيف أتَوا من هُنَا

وما أنْبأتْنَا الدُّروبُ

فيا طِفلتي لا تَخَافي
لأنَّ العراقَ أبُوْكِ
أبوكِ الذي لا يموتُ
أبوكِ الذي حَمَلتْهُ الليالي
أبوكِ الذي طَرَدَتْهُ بُيُوتُ
فيا طفلتي قد أعودُ إلى قَمْحِ أهْلِي
فقولي لكُلِّ العَصافيرِ:
ها قَمْحُ أهلي
وقولي لمنْ وَقَفُوا بينَنَا:
سيَغْضَبُ نَهْرٌ
ويَعْصِفُ رملٌ
ويمشي من الغيظِ نخلٌ لنخلِ
وتهمسُ جدرانُنا:
لنْ يكونَ العراقُ ذليلا

(٥)

لماذا تقول: وداعًا

ستجفُلُ شرفَتُهَا حين تَعْبُرُ وحدَكْ

سيذبُلُ لونُ الصباحِ

وينأى ربيعُ الحبيبَةِ بعدَكْ

هنا دجلةٌ للمدائِنِ تُرْسِلُ أحلامَهَا

وهذا الترابْ

عليه وصايا الذين أحبُّوا التُّرابْ

وهذي السماءُ

لأجلك تمحو بقايا اليبابْ

وبغدادُ تفرُشُ أعوامَها

لماذا تقولُ: وداعًا

ستبقى الحبيبةُ تحفَظُ وعْدَكْ

لديها انتظارٌ

وشوقٌ قديمٌ

وتعلَمُ أنَّ المَواسِمَ عِنْدَكْ

لماذا تقولُ: وداعًا

بِغَير العراقِ ستخسر دفءَ السَّواحِلِ...

تخسَرُ لونَ الطفولَةِ...

تخسرُ همْسَ الشَّوارِعِ

تخسَرُ صوتَ القُرَى

بغيْرِ العِرَاق ستخْسَرُ مَجْدَكْ

(٦)

وخلفَ الحُدُودِ التي ضَيَّعَتْهُ
هناكَ
يُنَادِي من اللَّيلِ والرَّوْعِ والظُّلْمِ
: تحيا بِلَادِي
يصيحُ بحُزْنٍ فصِيْحٍ معَ اللَّيْلِ
: تحيا بلادِي
فهلْ سَمِعَتْهُ ؟
لماذا يمُرُّ القَمَرْ
لماذا تقولُ النَّوافِذُ:
يا للشَّجَرْ
لماذا وكلُّ الحياةِ بزنزانَةٍ من ضَجَرْ
يعذِّبُهُ أجنبيٌّ
ويمشي على صَدْرِه أجنبيٌّ
ويسجنُ أحلامَهُ أجْنَبيٌّ

وجدتُ العراقَ بزنزانَةٍ في شتاءِ الغَريبِ....

توقَّفَتِ الرُّوحُ

خلفَ الحُدودِ،

بذاكَ الظَّلامِ الغَريبِ

ضَبَابٌ

وكفُّ الغريبِ التي أفْزَعَتْهُ

هناكَ هناكَ ضَبَابٌ

ولا شيءَ إلا يَدٌ في الظلام الحزيْنِ رَمَتْهُ

أتَحْيَا بِلادٌ

تُقَبِّلُ كَفًّا

بذاكَ الظلام الغريب رَمَتْهُ !!

(٧)

وجدتُ العراقَ حديْقَتُه لم تَخُنْهُ

وجدتُ العراقَ

حكايَتُهُ والسَّواحِلُ مِنْهُ

ندىً مَوْصِليٌّ

يُخَاطِبُهُ طائِرٌ منْ غُرُوبِ الجَنُوبِ

فويلٌ لكُلِّ القُلُوبِ التي لَمْ تَصُنْهُ

وويلٌ لكلِّ النُّجومِ التي سافرَتْ

وويلٌ لِكُلِّ الشُّموسِ التي لم تَكُنْهُ

*****

على أيِّ دربٍ سيمشي الغريبُ

ومنْ أيِّ وعْدٍ

بعيدِ المَسافَةِ يأتي الحَبيبُ

ومن أيِّ حُلْمٍ سيَعْبُرُ أطفالُنَا...

إنَّه وَطَنٌ

مِنَ اليَاسمينِ ولمْ نحتَضِنْهُ

وجدتُ العراقَ

هواءً قديمًا

وماءً قديمًا

ودربًا قديمًا

وصوتًا جديدًا

يُهَادِنُ في الصُّبْحِ ظِلَّ النَّخِيلِ

وفِي الليلِ يَسْرِقُ حُلمَ التَّجَلِّيَ مِنهُ

(٨)

أقولُ: اتْبعينِي

فيَتْبَعُنِي الصَّمْتُ...

يا طِفْلتي لا تَخَافِي

فهذا احْتلالٌ أليفٌ

أقُولُ: اتْبعينِي

فتَجْفُلُ

قد أخبرتْنِيَ عيناكَ عَنْهُ

طريقُ النَّهارِ يظلُّ بعيدًا

وصيفُ الضِّفَافِ يظَلُّ غَريبًا

ولونُ المواسِمِ لا يهتدي نحْوَ أبصارِنَا

لأنَّا تركْنَا المَغول

يدوسُونَ ثانِيَةً فوقَ أعْمَارِنَا

سلامًا لارْضِكَ يا مَوْطِنِي

وهذي الدماءُ

وهذا العذابُ الذي يَفْزَعُ الرافدانِ عليهِ...

ومِنْهُ

فيا طفلتي لا تَخَافِي

هو الصبحُ ميعادُنا

فهذا احتلالٌ أليفٌ... ولكنَّهُ

يُخَاصِمُنَا مِثْلَما يَشْتَهِي

يُخَاصِمُنَا ثُمَّ لا يَنْتَهِي

يفتِّشُ عن ضِحْكَةٍ في طريقِ النَّهارِ

يفتِّشُ عن نَجْمَةٍ في زوايَا قصائِدِنا

يفتِّشُ عن أمَلٍ هَارِبٍ...

لا تَمُرِّي

فما بينَ ظِلٍّ وَظِلّ

يُمَدُّ جدارْ

وَما بينَ دربٍ إلى النَّهْرِ والنَّهْر كانَ الحِصَارْ

فلا تَتْبَعِيْنِي

سأرْجِعُ للدَّارِ، إنَّ المَوَاسِمَ مِيعَادُنَا

فآذارُ يَسْعَى إلى كُلِّ دار

.....

شراعٌ يجيءُ من الرَّمْلِ

والبحرُ ينشقُّ عن ناقَةٍ لا تُحِبُّ الحنينْ

وأرواقُها عند ذاكَ الجِدَارْ

وأشواقُهَا في سُكُونِ الصَّبَاحِ الحَزِينْ

تغيبُ عن الصَّيْفِ

لا يَفْتَحُ الصَّيفُ أبوابَهُ

ويبقى طريقُ الرُّجُوعِ يُقَلِّبُ أعصابَهُ

(٩)

وجدتُ العراقَ يُفَتِّشُ في صَفَحاتِ «الأَغَانِي»

وَفِي «العِقْدِ»

في ما تقولُ «المَقَاماتُ»

يبحَثُ عن ضِحْكَةٍ من بَقَايَا الزمانِ

فما أجملَ الأرضَ

كانتْ لَنَا الأرْضُ

كانَ لَنَا البَحْرُ و«السَّنْدِبَادُ»

وبَغْدادُ و«المُتَنَبِّي»

وكانتْ لنا «شَهرزادُ»

ننامُ عَلَى هَمْسِ أَسْئلةٍ من دَلالٍ

ونصْحُو على موسِمٍ من حنانِ

وكانَ الرَّصافَةُ والكَرْخُ وجهينِ يبتسمانِ

سأفتَحُ بوَّابَةَ الشَّوْقِ نحْوَ دِيَارِ الحَبيبَةِ

نحْوَ مضارِبِ أقوامِنَا

يا عُيُونَ المَهَا:

إنَّ بَغْدادَ تَغْفُو بغيْرِ أمانِ

سأعْبُرُ نحْوَ رَبِيْعِ الزَّمَانِ...

وأصرُخُ:

إنَّ اللظى يستبيحُ هُدُوءَ المَكَانِ

فيا جِسْرُ كيفَ تَرَكت نشيجَ المِيَاهِ

وكيفَ تركتَ الغُزَاةَ يَمُرُّونَ

كيفَ حَمَلْتَ الجُنُودَ إلى الضِّفَتَيْنِ

وغيَّبْتَ من أجْلِهِم عاشقَيْنِ

(١٠)

وجدتُ العِرَاقَ

بليلِ اليَتِيمَةِ

يسكُتُ لا صوتَ

مَنْ أسكَتَ العَاشِقِينَ

ومنْ أسْكَتَ العَابِرينَ

ومن أسكتَ الحَالمِينَ

: «دللول» يَا ولدًا ضاعَ بينَ اليَتَامى

وكانتْ هُمُومُ الأراملِ

تملأُ صُبْحَ العِرَاق ظَلامَا

(١١)

يقولُ الغَريبُ:

هُنَا كانَ بَيْتِي

هنا صوتُ أمِّيَ مَا غَيَّبَتْهُ السِّنِيْنُ

وَوَجْهُ أَبِي بَاسِمًا جَاءَ...

هذا الطَّريقُ طَرِيقي

وتلك لَدَى الرِّيحِ نافذةٌ للحبيبَةِ

هَذي عَصَافيرُهَا

والنَّهَاراتُ

واليَاسَمينُ

وهَذي المَسافاتُ

هذا - لدى الصيفِ- صبحُ الحديقةِ

هذا الجدارُ القديمُ

وهذي بقايا الشموسِ

تسافِرُ في الذَّاكِرَه

يقولُ الغريبُ:

ويسمعُ نبضَ التُّرابِ

أنا طفلُ كلِّ القُرَى

أنا طعمُ هذا العذابِ

أنا صوتُ هذي الضِّفَافِ

ولكنَّ دِفْءَ الزمانِ ضنينُ

سأرسُمُ دَرْبًا إلى قَمْحِنا في الزمانِ القديمِ...

وأعبُرُ نحوَ سَلامِ العَصَافيرِ...

نحو ارْتَجافِ الحبيبةِ...

أعبُرُ

مَهْمَا طَريقُ الحياةِ يخونُ

: فَلَسْتُ غَريبًا

-يقولُ الغَريبُ-

أنَا من دَعَتْهُ إلى أهْلِهِ في المَساءِ الشُّجونُ

ويُصْغِي طريقُ التلامِيْذِ

تجفُلُ أوراقُ غُصْنٍ قديمٍ

ويبقى لدى الليل ذاكَ الحَنيْنُ

(١٢)

نداءٌ من الرافدينِ

يمرُّ الرَّصاصُ

وبغدادُ آخرُ عينٍ تنامُ

على أيِّ دربٍ سيمشي الضياءُ

وفي أي فجرٍ يغني الحمامُ

سلامًا إلى كلِّ طفلٍ

يشُدُّ على الجوعِ صَمْتًا

وليسَ عَلينَا السَّلامُ

أفتِّش في صفحاتِ(الأغاني)

وأبحثُ في (العِقْدِ)

بغدادُ ما مرَّ فيها ظلامُ

فبغدادُ أغنيةٌ من شُروقِ السنينِ

وبغدادُ يضحَكُ في مقلتيها الغَمامُ

تعودُ النساءُ إلى ظِلِّها

لِمَاذا يَغيبُ عَن العَاشِقينَ الكَلامُ

فَمَنْ علَّمَ العشقَ يَهرُبُ حين يمرُّ بدارِ السَّلامِ

ومن قالَ للقادمينَ

لِيَحْمُوا ديارَ الحَبيبةِ: نَامُوا

وبغدادُ آخرُ عينٍ تَنَامُ

وبغدادُ رغْمَ الحرائِقِ والجُوْعِ

آخرُ وجْهٍ يُضَامُ

(١٣)

يقولُ البعيدُ

أنا يا حبيبةُ قد عُدْتُ ثانيةً للسَّفَرْ

فهذا عراقُ النَّدى

وهذا العراقُ صباحُ المَطَرْ

وهذا العراقُ

إلى أي شمسٍ يشاءُ مَضَى

وهذا العراقُ

إلى أيِّ مجْدٍ يشاءُ عَبَرْ

(١٤)

مِنَ الحَرْبِ للحَرْب يَا صَاحِبي

ومن جُرْحِنَا في دِمَاءِ الحُسَينِ

لجُرْحٍ صَبِيّ

ومن ضَيْمِنَا حينَ مَرَّ التَّتَارُ

إلى غَزْوِنَا اليَعْرُبِيّ

سكونُ المقابِرِ

: لا تدخُلُوهَا

بِها فرَحٌ أجْنَبِي

أردِّدُ صمْتَ الطَّريقِ الحَزِينِ إليها

وبَيْنِي وبينَ سُكُوتِ منازِلِها

لوحَةُ المَغْرِبِ

وبينِي وبينَ اللِّقَاءِ القديمِ

قصائِدُ لم تُكْتَبِ

أنا خَائفٌ

فالزَّمَانُ الذي في المَنَافِي

وتلكَ البِلادُ البعيدَةُ

تَسرِقُ منَّا الضِّياءَ

تقولُ لكُلِّ الطيور: اهْرُبِي

أنَا عَائِدٌ يا سُكونَ الحَيَاةِ

أنا عائِدٌ يا زمانَ الرَّحِيْلِ الحَزِينِ

أمرُّ على الصَّمْتِ

هذا السكونُ يُسَافِرُ بِي

أنَا يَا سُكُونَ المَقَابِرِ لا أُبْصِرُ الآنَ قَبْرَ أبِي

فراياتُهم بينَنَا

خَنَاجِرُهُم بينَنَا

نشيدُهُم الفظُّ يَعْبَثُ في صَمْتِنَا...

فمن أين مرَّوا على فجرِنَا الأطْيَبِ

وكيفَ

وهذا العراقُ قصيدَةُ حُبٍّ

وغيمةُ ضوءٍ

تُخَاطِبُ كلَّ المَدَى الأرْحَبِ

(١٥)

وداعًا

وداعًا

ندَى نينَوى

ربيعٌ مَعَ الحُزْنِ يخبُو

وآخرُ كَيْلا يَرَى القَاتِلينَ انْطَوَى

سألقاكِ حينَ يُغَازِلُ وجهَ الصباحِ النَّدى

سألقاكِ حين يغازلُ وجهُ الصباحِ النَّدى

وداعًا

وداعًا

أغانٍ من (الهُوْرِ) عن حُزْنِهَا شَاهِدَه

ودِفءٌ لَدى الأرض

هذا المكانُ قديمٌ

وهَذِي الطُّيُورُ

لِتُعلِنَ عِشْقَ القُرَى عائده

ودَاعًا

وداعًا

سألقاكَ حينَ تَظَلُّ هنا رَايَةٌ واحِدَه

(١٦)

كيفَ وجَدْتَ العِرَاقَ

سأرْجِعُ للدارِ...

أخْجَلُ أنْ أتَوَسَّدَ ظِلًّا غَرِيْبًا

وأخجَلُ أن أتَحدَّثَ عَنْ قَمْحِ أهْلِي

وبيني وبينَ نَدَى القَمْح نارٌ غَرِيبَه

ستكبُرُ يا طِفْلتي مُقْلتاكِ

أخافُ فقد تُبصرينَ الحِصار يُغَطّي سَمَاكِ

ويمضِي بنا العمرُ...

مثلي تَرينَ الدِّيَارَ كلامًا يجيءُ مَعَ المَغْربِ

وَمِثْلِي تَرَيْنَ البلادَ فضاءً من القَهْرِ والتَّعَبِ

سأرْجِعُ للدَّارِ...

أينَ الطريقُ إلى الدارِ ؟

إني أَضَعْتُ الطريقَ إلى مَشْرقٍ كانَ فيهِ أبِي

فيا أيها الوَاقفون على مَفْرِقِ العُمْرِ

لا تقَتْلوني

فإني قُتلتُ بنارِ التَّشَرُّدِ...

دربُ التغرُّبِ والذُّل ما زالَ يَعْبَثُ بِي

سأرجِعُ للدَّارِ...

لا دارَ لِي

فالديارُ رِمَالٌ تهَاوتْ

على ظَهْرِ ميعادِنَا المُجْدِبِ

(١٧)

لِلونِ الضَّبابِ الأخِيْرِ اتَّجهنَا

لمُنْعَطَفٍ في ضَبابِ الطَّريقِ

لِصَمتٍ كئيبٍ وراءَ صُراخِ المَنَازِلِ

للامكانِ

وللازمانِ

للاشيءَ...

إلا لِنَرْحَل عن قاربٍ لا يُغَنِّي

سنَكْتُبُ أُنشودَةَ الدَّمْعِ

عندَ حُدُودِ المُخَيَّمِ

فالعمرُ غَاباتُ حُزْنِ

وعندَ حُدودِ المُخَيَّمِ

غابَ صَفَاءُ التَّمَنِّي

وعندَ حُدُودِ المُخَيَّمِ

كانَ العراقُ يُضَمِّدُ جُرْحَ الطُّفُولَةِ

يَفْتَحُ جُرْحَ المَسافَاتِ

كانَ العِراقُ يُضيءُ عَلَى كُلِّ جَفْنِ

وَعِنْدَ حُدُودِ المُخَيَّمِ

يَصْدِفُ عن ألْفِ عَيْنِ

وجدتُ العِراقَ

يقُوْلُ لِكُلِ الجِهَاتِ

ستَخْتَصِمُ الأرْضُ بَيْنِي وبَيْنِي

ستَعْبُرُ من هَهُنا أمَّةٌ

وتَفْنَى هُنَا – في لَيَالي اللَّظَى- أمَّةٌ

سيرتَدُّ طَرْفُ النُّجُومِ كَليلا

ألا لَنْ يَكونَ العِرَاقُ ذَليلَا

(١٨)

ووَكان العِرَاقِيُّ يَرْقَبُ

كيفَ سَتَأتِي الظِّبَاءُ بدرْبِ الغُرُوبِ

وكيفَ الضِّبَاعُ سترحَلُ

عَنْ كُلِّ قَبْرٍ حَبيبِ

وكانَ العِراقِيُّ يَنْزِفُ أيَّامَهُ

في رَمَادِ الحُرُوبِ

وكانَ العِراقِيُّ يَسْأَلُ:

كيف تكونُ النِّهاياتُ تَحْتَ ظَلامٍ غَريبِ

(١٩)

تَقُولينَ: لَنْ تَشْفَعَ الذَّاكِرَه

ولولاكِ لَمْ يكنِ العُمْرُ

إلا خُطَى عَاثِرَه

ولولاكِ للرِّيْحِ تَمْضِي السنينُ

ولولاكِ تَمْضِي إلى الغَيْبِ ليلَتُنَا المَاطِرَه

فأنْتِ السَّلامُ الَّذِي دُوْنَ وَعْدٍ سَيَأْتِي

وأنْتِ القَصِيْدَةُ...

أنتِ الصَّدِيْقَةُ...

أنتِ الحَبيبَةُ...

أنتِ المَواسِمُ...

والنهرُ والصَّيْفُ أنتِ

وجاءَ العِراقُ على نَشْرَةِ العَاشِرَه

رصاصٌ

لتَرْجِعَ كلُّ الضِّباعِ إلى نَخْلِنَا

رصَاصٌ

لِتَهْرُبَ كلُّ الكَواكِبِ عَنْ لَيْلِنَا

ويَمتدَّ حزنُ المَراكبِ

يَعْبثُ في الليلةِ المَاطِرَه

وأُدْرِكُ أنَّ اللَّظَى حِيْنَ يَلْتَهِمُ الأرْضَ

لَنْ تَشْفَعَ الذَّاكِرَهْ

وأدركُ أنَّ الرَّحِيْلَ إلى أوَّلِ العُمْرِ...

يَبْقَى تِجَارَتَنَا الخَاسِرَهْ

(٢٠)

كيفَ وجدتَ العراقَ

أنا هَلْ وجدتُ العراقَ؟

العراقُ رياحٌ من الغيبِ تَأتِي...

العراقُ سلامٌ يَفُوحُ عَلَى كُلِّ بيتِ...

العراقُ طُيُورٌ تُسَافِرُ فِي الذَّاكِرهْ

سأتْرُكُ عِنْدَ خيامِ النُّزُوحِ قَصيدَهْ

سأتْرُكُها ثُمَّ أمْضِي

سأمْضِي إلى أيِّ أرْضِ

لديْها دُرُوبٌ جَديدَهْ

سأتْرُكُ عِنْدَ خِيَام النُّزُوحِ كَلامًا كَثِيْرًا

عَن الحُبِّ واليَاسَمِينْ

كلامًا من الشَّوْقِ للعائدِينْ

كَلامًا من الشوقِ للغائِبِينْ

على أيِّ جَنْبٍ ينامُ العِراقُ

وليلُ اليَتَامى

وجوهٌ على حُزْنِهَا سَاهِرَهْ

••••

كَيفَ وَجَدْتَ الحَياةَ

(١)

وتلكَ الحبيبَةُ تسأَلُ نافِذَةَ الليلِ عَنِّي

وتَعْبُرُ أسْوارَهَا

تسيْرُ مَعِي للنهاياتْ

نهاياتِ هذي الحياةْ

أُحَدِّث أشْجَارَها

كما شِئْتُ أرْسُمُ أقْمَارَها

- أُحِبُّكَ أنتَ

- أُحِبُّكِ أنتِ

وجدتُ الحياةَ أصابِعَ تعرَقُ

تعْرَقُ

تُهدي لِكَفِّيَ أشواقَها

أقولُ: تعبتِ

تقولُ: هناكَ وراءَ الظِّلالِ ظلالْ

وخلف الجبالِ جبالْ

رماد الغيوم بأعلى الجبالْ

ونَمْضِي

وخلفَ الظِّلال ضلالٌ

تَعِبْتِ؟

تَعبتُ مِنَ الشَّوقِ...

- أنتِ معي

- أخافَ عَليكَ مِنَ الغَيبِ

مِنْ ذلكَ الليلِ يَسرِقُ شَمسَكَ مِنِّي

وجدتُ الحياةَ شَهيَّهْ

أنَا عاشِقٌ، والحياةُ قصيدةُ حُبٍّ

تجيءُ على نَسمةٍ مشرقيَّهْ

(٢)

وجدتُ الحياةَ قَصيرَه

أنَا... والزَّمانُ مَضَى

عَلى آخِرِ الدَّرْبِ صَمْتُ الخَليقَةِ

أُدْرِكُ أنِّي سَأمْضِي

وأُدْرِكُ أنَّ الحَياةَ تَساقَطُ شَيْئًا فشيئًا

وأنَّ الذي ظلَّ مِنْ دَرْبنَا...

هو أقْصَرُ مِمَّا مَشَيْنَا

وأنَّ الذي ظلَّ مِنْ حُلْمِنَا...

هو أصْغرُ ممَّا لَدَينَا

فأينَ الطَّريقُ القديمُ

وأينَ خُطَى القادمينَ

وأينَ خُطَى الرَّاحلينَ

فيهمِسُ سَرْوُ الطَّريقِ:

مع الليل كُلٌّ بأرضٍ مَضَى

وَقَفتُ ومن حَوليَ الناسُ تمشِي

مَضَى ما مَضَى

وحيدٌ وللغيبِ غاشيةٌ من سرابٍ

وجدتُ الحياةَ

سنينَ تَمُرُّ

فأنظرُ نحْوَ النِّهاياتِ:

شَمْسٌ تموتُ هناكَ

وزرْعٌ يموتُ هُنَا

فأيَّتُهَا النَّفْسُ هذي السنينُ

ستَطْوِي مداكِ

وجدتُ الحياةَ

تَمُرُّ...

فأُدْركُ أنِّي عَبَرْتُ حُدُودَ الرِّضَا

وعدْتُ لِوَحْدِي

أُحَدِّثُ هذا السُّكونَ الذي ليسَ يُجْدِي

أُريدُ الرُّجوعَ إلى صَيْفِ قَريتنا من جديدٍ

فأجْفُلُ وحْدي

وأكْتُبُ حُزْنَ النِّهايةِ وَحْدِي:

(٣)

أبي سَوْفَ يأتِي غَدًا

غدًا سوفَ يأتِي أبِي

سيفرَحُ حينَ يراني كَبُرْتُ

فكيفَ كَبُرْتُ

بدونِ ذِرَاعَيْ أبِي

وأذكُرُ كفَّ أَبِي

تُمُرُّ على صَدْريَ المُتْعَبِ

فآوي إليهِ

وأعرفُ دفءَ الحياةِ بشَوْقِ يديْهِ

لديَّ انتظارٌ طويلٌ

فمَاذا لَديهِ

سلامًا لكفِّ أبي

سلامًا لوجْهِ أبي

سلامًا لقلبِ أبي

سلاما لِعينَيْ أبِي

سلامًا لِقَبْرِ أبي

وجدتُ الحياةَ بغيْرِ أبِي

بِلادًا من الرِّيحِ

والرَّمْلِ

والصَّيْفِ

والحَطَبِ

تُحدِّثُ طفلةُ جِيْرانِنَا

تقولُ: أبي قَبْلَ مغربِ هذا النهارِ سَيَأتي

فأَبْكِي

: أبي بَعْدَ مغربِ هذا النهارِ سَيأتِي

سيأتي مَعَ الليلِ

يأتِي

يُحدِّثني عن طريقِ الغيابِ

ويمضِي

(٤)

وجدتُ الحياةَ

حياةَ المُحَارِبِ رُوحًا تُحاصِرُها موجتانِ

سلامًا يغيبُ عن الأرْضِ

صوتًا يغيبُ بعيدًا عن الأهْلِ

فَجْرًا بغيرِ طيورٍ

وليلاً بغيرِ أمانِ

بعيدًا عن الموتِ

قُرْبَ الحياةِ

تُحَدِّثُ نافِذَةَ الليلِ عَنْهُ

وفِيْ ملجأٍ ساكِتٍ ظلَّ يَرسُمُ ضِحْكَتَها

ثُمَّ يَبْسِمُ

يَنْسَى العذابَ برُعْبِ المكانِ

ويَنْسَى بأنَّ المُحَاربَ كَيْ يَنْصُرَ الحقَّ

لا بُدَّ ألا يَمَسَّ حُدودَ الحَنانِ

هي الحربُ بنتُ الرَّدَى

هِيَ الحَرْبُ دَرْبٌ بغَيْرِ هُدَى

قطارانِ يَصْطَدمانِ

وجدتُ الحَيَاةَ

رجالاً يَمُوتونَ

عِنْدَ الحُدُودِ

وتحْتَ سِياطِ الشُّمُوسِ وتَحْتَ الخَنَادِقِ

فوقَ المَرَاكِبِ

تحْتَ جُنُونِ المَطَرْ

وقومًا يغنُّون للحَرْبِ تَحْتَ ضِياءِ القَمَرْ

(٥)

ووجَدْتُ الحَياةَ رَغيفًا مِنَ الخُبْزِ

يَستَلُّنِي مِنْ سُكُوني

وجدتُ الحَياةَ هُرُوبًا مِنَ الدَّارِ

من طفْلَةٍ مسَّها الجُوْعُ

أدْخُلُ أرْضَ الضَّجِيْجِ

تقولُ ابنَتِي:

في ضُحَى العِيْدِ ألبسُ ثَوبًا بلونِ الصَّباحِ

ستُهْدِيْهِ لي

وأَخْرُجُ للنَّاسِ لَنْ يعرِفُونِي

تقولُ ابنَتِي:

في ضُحَى العِيْدِ أعبُرُ مِثْلَ الأميراتِ

لنْ يُصْبِحَ العيدُ عِيْدًا بدُونِي

تقولُ ابنَتِي..

والحياةُ رغيفٌ من الخُبْزِ

دائرةٌ طوَّقَتْنِيَ

لم أستَطِعْ هربًا من شُجُونِي

(٦)

وجدتُ الحياةَ انتظارَا

يَغيبونَ، فالقَلْبُ يَجْفُلُ

تَستوحِشُ الرُّوْحُ

تُلْغِي النَّهَارَا

هُنَا ولدي راجعٌ من طريْقِ الغُرُوبِ

هُنَا وَلَدي خَبَّأَتْهُ ليالِي الحُرُوبِ

يُنَادي مِنَ الغَيْبِ:

يَا أمِّ لا تَسْأَلي عَنْ دُرُوبِي

يُنَادي مِنَ الغَيْبِ، والحَرْبُ ما بَيْنَنَا

تقولُ الدُّمُوعُ: سَيَأْتِي

وحينَ يجيءُ الصَّبَاحُ

صَباحُ الحَقيقَةِ

أُدْرِكُ أنَّ الدُّمُوعَ حَديثُ القُلُوبِ

يُنَادِي مِنَ الغَيْبِ

أسْمَعُهُ من مكانٍ قريْبِ

أُنَاديْهِ قدْ أقبلَ الليلُ فاهْجُرْ بلادَ الرَّحِيْلِ الغَريبِ

وجدتُ الحياةَ وُجُوهًا صغارا

خُطَى صبيةٍ يلعبونْ

خُطَاهُمْ تَقودُ نشيدَ الحَياةِ

بهِمْ تُصْبحُ الدارُ دَارا

وجدتُ الحياةَ نداءً يَعُودُ من الغَيْبِ

يُسْكِتُ كُلَّ نَشيْدِ الحَياةِ

وجدتُ الحياةَ جِدَارَا

يسيرُ معيْ حيثُ سِرْتُ

وجدتُ الحياةَ نداءً يَعُودُ مِنَ الغَيْبِ

إني وجدتُ الحياةَ انتظارَا

المؤلف في سطور

• سعد جرجيس سعيد.

• أكاديمي وشاعر وروائي عراقي من مواليد محافظة صلاح الدين- قضاء الشرقاط، في ١٩٧٩.

• عضو الإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

• عضو الهيأة الإدارية لاتحاد الأدباء والكتاب في صلاح الدين.

• حاصل على دكتوراه لغة عربية، كلية الآداب جامعة الموصل/٢٠١١.

• اللقب العلمي: أستاذ دكتور.

• عمل رئيسًا لقسم اللغة العربية في كلية التربية الأساسية/ الشرقاط - جامعة تكريت.

• يعمل الآن معاونًا للعميد للشؤون العلمية في الكلية ذاتها.

• اشترك بالعديد من المهرجانات والمسابقات الشعرية والمؤتمرات في داخل الوطن وخارجه، منها: (مهرجان المربد، ومهرجان الجواهري، ومهرجان المديح النبوي في إسطنبول، والفعاليات الثقافية لمعرض الكتاب في تونس).

• فاز بالعديد من الجوائز الشعرية.

• اشترك في مسابقة أمير الشعراء في أبو ظبي لأكثر من موسم، ووصل إلى مراحل متقدمة فيها.

• المؤلفات:

- الليل في القرآن الكريم، دراسة جمالية، دار صفحات، دمشق/٢٠١٦.

- تجليات الحب والحرب، قراءة في شعر بشرى البستاني، دار أكاديميون، عمان/٢٠١٧.

- قراءة أخرى لدرب الحبيبة، مجموعة شعرية،
طبعة أولى: دار نون- العراق- الموصل/ ٢٠١٨.
طبعة ثانية: مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة/ ٢٠٢٤
- خُطب القرآن الكريم، دراسة في الأساليب والمضامين، دار صفحات، دمشق ٢٠١٩
- كيف وجدت العراق، مجموعة شعرية،
طبعة أولى: دار الابداع، العراق- تكريت/ ٢٠١٩.
طبعة ثانية: مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة/ ٢٠٢٤
- مجموعة مشتركة تحت عنوان: طفلة الوطن العجوز، دار فضولي كركوك/ ٢٠١١.
- هذا خلق الله، قراءة جمالية في صفحات الكون، دار صفحات، دمشق/ ٢٠٢٣.
- انكسارات آخر الليل، مجموعة شعرية، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب في العراق/ ٢٠٢٣.
- وحدها لا تموت، رواية، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة/ ٢٠٢٤
- الحُبُّ فُرصتُنا الأخِيرَة، مجموعة شعرية، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة/ ٢٠٢٤
- له مجموعة من البحوث المنشورة.
- فضلاً عن مجموعة من الكتب المشتركة.

شمس
للنشر والإعلام

شمس للنشر والإعلام

ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net